تعريف بالكتاب

ولد لاردنر ونشأ فى نايلز بمشيجان ، وتعلم دروسه الأولى فوعى منها ما يرشحه للقبول بمدرسة الصناعة أو الهندسة الآلية . ولم يشتغل كثيرا بالأعمال الصناعية الهندسية ، بل قاده الشغف بالألعاب الرياضية الى مراسلة الصحف لكتابة أخبار المباريات والتعليق عليها . وبدأ حياته الصحفية بارسال المقالات من نيويورك الى صحيفة « شيكاغو تربيون » فكانت مقالاته منهجا وسطا بين الوصف « التخطيطى » والقصة القصيرة ، ثم كتب قصصه القصيرة فاختار معظم أبطالها وحوادثها من بيئة الألعاب الرياضية ، واستقرت له شهرة مستفيضة بالقصة القصيرة على أسلوبه فى استخدام اللغة الدارجة والحوادث الشائعة بين الرياضيين ورواد معاهد الرياضة على الخصوص ، فغلبت شهرته بالقصة على شهرته بالتبليغات الصحفية ، ودعته الثقة بهذه الشهرة الى اتخاذ صفة المعلم لطلاب فنه فألف كتابه « كيف تكتب القصة القصيرة ؟ » وأودعه نماذج من القصص تطبيقا لنظرياته على أمثلتها من تأليفه ، ولم يقرنها بنماذج من تأليف القصاصين الآخرين على طريقة غير طريقته هو فى اللغة ، وفى تشخيص الأبطال والبطلات وانتقاء الموضوعات ، ولعله أصاب بذلك...لأن القصة القصيرة على عمومها فن منوع متعدد الجوانب غير فنه الخاص الذى كاد ينحصر فى التخطيط الصحفى وما هو فى حكمه ، عند قراء أخبار الرياضة وتبليغات الصحف عن أبطالها ومن يلوذ بهم من عشاقها والمراهنين عليها .

وموضع الأمانة فى فن لاردنر أن كتابته تحمل طوابع نشأته على تتابع أطوارها ، فعليها « أولا » طابع الصحة الحسابية والدقة الآلية من أثر التربية الهندسية أو الصناعية الأولى .

وعليها « ثانيا » طابع التبليغ الصحفى الذى يهتم أصحابه بأسلوب التشويق والتهويل واشباع رغبات التطلع والفضول ، ويبحثون عن الأسرار والفضائح التى تصلح للشرثرة الاجتماعية وتشغل الفراغ الأكبر من صحف الأخبار وأبواب القصص والتبليغات « الشخصية » المعدة للنشر فيها ٠

وعلى كتابته « ثالثا » طابع السرعة التى لابد منها لنقل حوادث الرياضة ومفاجآتها ، ومنها ما ينقل من ميدان اللعب أو ينقل برسومه ومواقعه على حسب حركات الميدان وما يتعاورها من أدوار الكر والفر والهجوم والدفاع ٠

وأهم من ذلك كله أن كتابته تحمل طابع الرياضة فيما يسمونه بالروح الرياضية بين اللاعبين والمدربين على الألعاب ٠٠ وأبرز ما فيها نبذ التكلف وتعود الصراحة فى الأمور التى درج الناس فى عصر «الجنتلمان» على كتمانها ، والاغضاء عنها ، وافتراض الجهل بها أو تجاهلها ، واستباحة النفاق والروغان عند الاشارة الى أحاديثها ٠

والسبورتمان ـ أو الرياضى ـ هو خليفة الجنتلمان فى العصر الحديث كما لا يخفى ، فكل ما كان موضعا للتكلف والتحرج فى حياة الجنتلمان فقد أصبح موضعا للصراحة والمبالغة فى رفع الكلفة حول أحاديثه وعاداته ، ويجوز أن يقال ان الشطط فى عادة الصراحة قد وصل بالرياضى الحديث الى درجة التكلف واصطناع الصراحة فى غير موضعها ، وقد ينتحل المغالون بهذا العرف الرياضى ألوانا من العيوب يقترفونها وهم لا يحبونها ولا يسيغونها ، ليقال انهم متحررون من ربقة التكلف القديم ، لا يبالون الحرج الذى كانت له حقوقه من المبالاة والرعاية عند الأقدمين المتزمتين ٠

ويغلب على اعتقادنا أن السقطات الكثيرة ، التى يولع لاردنر بحكايتها والتهويل فيها ، هى ضرب من هذا الشطط فى الروح الرياضية يلائم العرف الشائع ان لم نقل انه يلائم فطرته ويصدر عن وحى نشأته

وتربيته ، فليس هو من سخرية التهكم والضغينة التى نعهدها فى مرارة الموسومين بعداوة البشرية Misanthropes ، ولا هو من سخرية الطعن والابتذال التى نعهدها فى نكاية الكلبيين Cynics والناقمين المتشائمين وليست هى من سخرية المجون والاغراق فى الهزل والهرج ، ولكنها ـ كما قدمنا ـ نغمة من نغمات الصراحة الرياضية ارتفعت عن طبقتها وأدركها ما يدرك الأصداء التى تتجاوبها عادات الجماعات ، كأنها فى « مزايدة » دائما بين المتسابقين الى الشطط والجموح .

يقول الأستاذ بريزون انه : « يضخم الأمور ويبالغ فى تصويرها لأن نزعته الساخرة واحساسه الساخر بالانسانية يتخلل كل شىء ويتغلغل فى كل ما يتعرض له . »

ويقول الأستاذ جَريت : « اننى متأكد أنه يؤمن بالحياة وليس ممن ينكرون كل شىء ولا يتمسكون بمبدأ أو عقيدة » .

ويعود الأستاذ بريزون فيذكر تصويره اللاذع للمخفقين وما ينطوى فيه من لمسات خفية لا تخلو من العاطفة الانسانية فيشير الى الشويعر الذى كان محصلا فى احدى الشركات ، بعد أن أضناه اليأس من النجاح، ونغصت سخرية الناس به كل متاع له بالفن الذى يهواه ، فعاد الى منظوماته يمزقها واحدة واحدة ، الا قصيدة ـ فذة ـ لم يستطع أن يمزقها ؛ لأنه كان قد نظمها لزوجته فاحتفظت بها وأخفتها عنه فى زاوية لا يعلم بها ولا يصل اليها ... قال الأستاذ بريزون : « وأظن أن هذه لمسة شفقة فى القصة يا مستر بور ! »

ويوافقه مستر بور فيضيف الى ذلك أن الكاتب « يعطف كثيرا على راوية القصة فى شهر العسل الذهبى ... وأنه كتب أجمل بيت له حين قال فى قصة المدينة الكبيرة عن العاشق : « انه نظر اليها! نظرة حلوة يمكن أن تصب على كعكة لذيذة ! »

وهذه الملاحظات التى لاحظها نقاد الحوار كلها انصاف وصواب . فان لاردنر ساخر ومهول ومفرط فى الضحك من دعاوى المخفقين

والمختالين المتبرمين بنصيبهم من النجاح لأنهم يتطلعون الى نصيب أكبر منه ويردون فوات ذلك النصيب الى خطأ موهوم . نذكر أن سخرية لاردنر هى ضحك الرياضى المغرق فى تقاليد الصراحة « الرياضية » وان تهويله هو حكم الصنعة فى تبليغات الصحافة وسباق الرهان ، وان لمساته « الانسانية » وراء ذلك هى طبعه الأصيل يداريه ويسرع الى اقتضاب حديثه خوفا من تهمة « الرقة » المصطنعة Sentimentalism التى لاتطاق فى ساحات الملاكمة والمباراة ! .

أما مكانة هذا الأديب فى عالم الكتابة فمقياسه ـ على ما نرى ـ مقياس الخبر الناجح والتبليغ المقروء لساعته ، أو لمناسبته التى تتجدد بعد تلك الساعة .. فان مقاييس اللغة المهذبة فى آيات الأدب الخالد لا تصلح لتقدير بلاغة اللهجات الدارجة التى لا يدعيها كاتبها أو لا يستطيع أن يدعى فيها أنه يخلقها أو يصنع فيها صنيعا يحسب له فضله غير الأمانة فى حكايتها ، وهى أمانة صحفية وفكاهة رياضية ، لا يبخسها عشاقها ما دامت مقروءة فى مناسباتها ، ولكنها قد تجنى على الجانب الانسانى الخالد فى ثنايا العمل الفنى ، اذا ذهبت لطيتها وحملت معها الى غياهب النسيان ما يذكر منها وما ينسى .

عباس محمود العقاد